

كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، يوم الثلاثاء الواقع فيه 12 تموز (يوليو) في حفل تخريج دفعة 2022 المكوّنة من 258 خريج في الصيدلة، وطبّ الأسنان، والعلوم التمريضية والعلوم الإقتصادية، في الباحة الكبرى لحرم العلوم الطبيّة.

حضرات السادة والسيدات نواب رئيس الجامعة، والعمداء والمدراء،

حضرات السيدات والسادة المعلمين والموظفين الإداريين،

حضرات أولياء أمور الطلاب الأعزّاء،

حضرات السيدات والسادة المتخرّجين الـ258، الـ105 من كليّة الصيدلة والتغذية، والـ54 من كليّة طبّ الأسنان، والـ41 من كليّة العلوم التمريضية، والـ58 من كليّة العلوم الإقتصادية،

طاب نهاركم،

إنّه لمن دواعي سروري أن نجتمع معاً في حفل التخرّج وتسليم الشهادات هذا، بعد حوالي ثلاث سنوات من الانقطاع، حتّى لو لم تكن الظروف الصحيّة مثاليّة، للاحتفال بنجاحاتكم، أيّها الطلّاب الأعزّاء من دفعة 2022 في طبّ الأسنان، والعلوم التمريضية، والصيدلة والعلوم الإقتصادية. يقول أحد الأقوال المأثورة إنّ "السبب الذي توجّه من أجله التّهاني هو نجاحكم" وسأضيف نجاحاً في تكوين شخصياتكم المتميّزة والرائعة ! شهادتكم تبقى جواز سفر لمدى الحياة، فهي إذن الانتصار على الجهل والإهمال، وانتصار التميّز والرؤية الجيدة للمستقبل.

أودّ أن أتحدّث إليكم عن الرجاء ! قد يُصدّم البعض منكم من الحديث عن هذا في سياق الانهيار في بلدنا وعلى جميع المستويات. أنا لا أتحدّث عن أمل سهل وهشّ وساذج قائم على تمنّيات وأفكار غير واقعيّة. لا، أنا أتحدّث عن نوع الأمل النقديّ الذي ينبع من التقليد اليسوعيّ والإنسانيّ لجامعتكم، جامعة القديس يوسف. بهذا المعنى، فإنّ الرجاء الذي يواجه الأزمات الدوريّة القاسية المعروفة في بلدنا يقوم على تجربة وتاريخ، تاريخكم في هذه الجامعة التي تخرّجتم منها وثلتم الشهادة ؛ أعتقد أنّ هذا الرجاء يمكن أن يكون بمثابة قيمة مشتركة، كفضيلة لنا جميعاً في هذه الأيام الصعبة. صحيح أنّ الرجاء، كما يقول فلوبيير Flaubert، هو فضيلة تتمثّل في الإيمان بدون دليل، وفي عبادة ما يجهله المرء والانتظار بحرارة لما لا يعرفه على الإطلاق.

إلا أنّ هذا الرجاء بعالم جديد، وبلبنان جديد وبحقيق أحلامكم الشخصية يجب أن يعتمد على الطاقة الداخليّة الكامنة في داخلكم والتي ستكونون شهوداً لها. في خمس نقاط، أودّ أن أخبركم لماذا يحتمّ عليكم الواجب أن تعيشوا الرجاء :

بادئ ذي بدء، أنتم أبطال لأنكم خلال هذه السنوات الثلاث الماضية، من أزمة إلى أخرى، وكأننا كنّا نتعرّض ونتعرّض للاضطهاد والمطاردة، حافظتم على المسار، أقوياء في إيمانكم وروحكم النشطة، وفي قدراتكم الفكرية والنفسية وخاصة في عائلاتكم. استقلال البعض، لكنكم واجهتم تحديّ الاستمرارية حتّى النهاية للتخرّج ونيل شهادتكم.

ثانياً، لقد أنتم بجامعتكم وبالمسؤولين في كليّاتكم ومعاهدكم الذين واجهوا، على الرغم من الأزمات المتعدّدة، التحديّ المتمثّل في الاستمرار، إمّا من خلال التعليم عن بعد أو حضورياً، ولكن دائماً بهدف التميّز. اليوم، وغداً، نواصل العمل للحصول على أفضل تنشئة والحصول على أفضل شهادة حتّى تتمكنوا من الوصول المستحقّ إلى المناصب والمهن، وهي من أكثر أحلامكم سحرًا.

ثالثاً، أظهر العديد منكم أنّكم مواطنون بكلّ معنى الكلمة، من خلال المشاركة مع الجامعة، سواء من خلال دائرة الحياة الطلابيّة، وعلميّة اليوم السابع أو جامعة القديس يوسف في مهمّة، أو خارج الجامعة مع منظمات غير حكوميّة تعمل على الصالح العامّ، من أجل زرع الفرح والسلام، والمحبة والأخوة، بتنظيف الشوارع أو توزيع الأدوية والموادّ الغذائيّة وتدريب فاعلين في الحياة المدنيّة بغية التغلب على البؤس والجهل.

رابعًا، لقد شاركتم في أعمال شفاء الكثيرين من المنهاريين خاصة بعد انفجار مرفأ بيروت ومن الجحيم الذي نعيشه، مع العلم أنّ الكثير من الجروح والاعتداءات على الناس لم يتمّ علاجها أو شفاؤها بعد. إذا نظرتُ إلى تدايعات الانفجار المذكور والذي تسبّب في وقوع العديد من الضحايا، فسندج أنّ كل شيء يتمّ القيام به لمنع كلمة من العدالة وإدانة المسؤولين عن هذه المذبحة للإنسانية. إلا أنّ صوتنا، صوت التضامن مع الضحايا، سيكون دومًا عاليًا وحازمًا ؛

خامسًا، لقد تعلّمتم، في هذه الجامعة، أنّ "من يرغب ويرجو ويؤمن بنفسه، يسعده أن يرى الآخرين يرجون ويؤمنون بأنفسهم"، كما قال مارتن لوثر كينج Martin Luther King ذات مرّة. لقد شاركتم وتشاركون في عمل الحقيقة، ضدّ الكذب والأيدولوجيا ؛ الحقيقة أنّنا مواطنون لبنانيّون متساوون، فنحن وأنتم صانعو مستقبل لبنان سيّد وحرّ ومستقلّ. كأسرة جامعيّة، نردّ على أزمة العنف والتهديدات التي نمرّ بها كلّ يوم من خلال المطالبة باستعادة دولة الحقوق والواجبات ودولة المواطنين.

كيف نعلن، مع كلّ هذا، أنّنا لا نحتفظ برجاء أفق جديد ؟ كيف نجرؤ على الاستقالة من مستقبل بلدنا وأحيانًا شتمه وإعلان أنّنا لم نعد نريد المواطنة اللبنايّة ؟ نحن مدعوّون للعيش في استمراريّة الأمل والرجاء كترياق للأمراض الاجتماعيّة التي تطغى علينا ومواصلّة مقاومتنا. نحن مدعوّون، من خلال عيش المحبّة الموهوبة والمقبولة، لنكون شهود أمل وعزاء لكلّ الناس الذين يعانون من الألم، والحزن، والمآسي والصعوبات. أشار المؤرّخ اليسوعيّ جون أومالي John O'Malley إلى أنّ مهمّتنا في الجامعة اليسوعيّة، وبالتالي في جامعة القديس يوسف، تكمن في تكوين أشخاص من أجل الآخرين يعملون كوزراء يبتؤون العزاء لهم. في عالم جريح ومرهق، هذا هو نوع الأمل الذي نحتاجه بشدّة ونحن نتخيّب في هذه الحالة من اليأس.

عطفًا على ما قلته لتويّ، أختم بخمس نصائح أضعها في عقولكم وقلوبكم :

(1) ثقوا، أيّها الخريجون الأعزّاء، بالرجاء المتجنّد فيكم، ولا تدعوا الأحداث الخارجيّة، حتّى الصعبة والقمعيّة منها، تتغلّب على مثابرتكم وطاقتكم ! اعملوا من أجل الصالح العامّ كما لو كنتم تعملون لمصلحتكم الخاصّة، إنّها علامة أنّكم مواطنون صالحون وأنّكم تحترمون دولة الحقوق والواجبات. لا تدعوا اهتمامكم بالمال يهيمن عليكم، فالمال مجرّد وسيلة لتحقيق أحلامكم ورسالة حياتكم.

(2) في هذه الجامعة وفي عائلتكم، تعلّمتم أنّ جذوركم هنا في لبنان، أرض الأسلاف والأجداد، أرض الضيافة وشذا الأرز، أرض التضحيات والأعمال البطوليّة. من الطبيعيّ أن تنمو الشجرة وترسل أغصانها في الاتجاه الصحيح ! أتوجّه إليكم أنتم الأغصان، أنتم لا تستطيعون أن تحافظوا على اخضراركم وتوتوا بثمار من دون الاهتمام بجذوركم ! غدوا جذوركم بحيث تكون نشطة وتمنحكم النسغ الذي تحتاجونه !

(3) كونوا رجال ونساء قناعة ! كونوا دائمًا إيجابيين واستباقيين في مقاربتكم للعالم وللأشخاص الآخرين ! كان مؤسس اليسوعيّين ينصح ببذل قصارى جهدهم لحفظ أقوال الآخرين وعدم إدانتهم ورفضهم بشكلٍ إجماليّ ومُسبق ! اعملوا أنّ الجودة الأساسيّة المطلوبة منكم في عملكم هي أن تكونوا أشخاصًا موثوق بهم ومتعاطفين، ممّا يُكسبكم تقدير الجميع.

(4) بحكم القسّم الذي أنتم على وشك النطق به، كونوا أناسًا حقيقيّين في ممارسة مهنتكم في عالم تغزوه الروبوتات والتكنولوجيّات الجديدة ! كلّ شيء لا يتعلّق بالتكنولوجيا، فالإصغاء والابتسام، والكلمات المشجّعة أكثر أهميّة من أيّ شيء آخر ويمكن أن تكون مصدرًا للشفاء.

(5) في جميع الأوقات، كونوا ممتنين للربّ الإله الذي وهبنا الحياة، ولوالديكم وأصدقائكم، ولمدركتكم، وجامعتكم التي ساعدتكم في تحقيق أحلامكم وأعطتكم القدرات. لكن في الوقت نفسه، اعتمدوا على أنفسكم، بدءًا من اليوم، وعلى القدرات المكتسبة خلال مسيرتكم الجامعيّة ! لا تستقبلوا بالاعتماد على الآخرين، بل بالاعتماد جيّدًا على ذكائكم ! كونوا شبكة للحصول على الدعم، مثل مجموعات خريجي جامعة القديس يوسف المتضامنين والفخريين بالانتماء إلى العائلة نفسها !

(6) أخيرًا، كونوا أشخاصًا شغوفين بما يفعلونه وللوصول حتّى نهاية مشروع أو شركة ! إذا قلتم شيئًا، اعملوا أنّ هذه الكلمة يجب أن تُترجم إلى فعل أو موقف حتّى تكون حقيقيّة ومسؤولة ! لا تكونوا أبدًا فاترين، بل شغوفين لما أنتم عليه ولما تقومون به !

أصدقاءنا الأعزّاء، فلترافقكم يد الربّ الإله، وصلوات أهلكم، وأمنيات المسؤولين عنكم ومعلميكم على طريق صعب، لكنّها أصبحت سهلة المسار عليكم بالشغف الذي يدعم مسيرتكم ! أنتم مؤهلون لتخطّي كلّ المزالق، من أجل أن تعيشوا مزوّدين بقوة إيمانكم بأنفسكم ولبنانكم، لبنان الحريّات والعدالة، والاعتزاز والأمل بأيّام مفعمة بالسعادة لكم جميعًا.

